

كانت تراءى زعماء السياسة في تلاءم البلاد إمتناع أميركا عن التداخل في شؤون أوروبا ، لا تحمل هذه بأن تحمل أميركا مستعمرة لها . وهي القناعة التي يبصر ان يجري عليها كل منسب فتحي أمام الشعوب القديمة يود أن يحمو حراً على مائة تخمير قواه ومصالحه ولم تفكر الولايات المتحدة الا في الاحتفاظ بحقوقها ومصالحها ولو أدى بها ذلك الى سلب حقوق الجمهوريات الصغيرة بالقوة احياناً . وبالجملة فان معنى ما كان الاميركان يتطلون اليه كان محصوراً في قولهم « أنا وأود أن أكون »

### التفاضل بالبلاد

الف الناس التمجيد بالبلاد ، والآباء والاجداد ، والمال والبنين ، عادة في البشر تكثر فيهم بكثرة الجهل وتدل بانتشار العلم ، ولقد كان لاهل هذه البلاد من هذا التمجيد الباطل قسط وافر ، ساعد على انماه في النفوس جهل بعض ولاة الامر السالفين ، واتخاذ هذه الاضاليل حجة على من يريدون مناواته وإرجاعه الى الطاعة . ولطالما خطب الحجاج في أهل العراق ووصفهم بقوله أهل الشقاق والنفاق ومساوي ، الاخلاق وأطلق عليهم من قبله ومن بعده من أمراء ، ذاك القطر مثل تلك الصفات وما كانت هذه المعاملة لاهل العراق السياسية ولو كانت أخلاقهم كذلك وكان فيمن ولي رقابهم علم وشفقة لسعى السعي الحثيث الى نزعها منهم بحكم العادة والأسوة والقنوة ولعل هذه الدعوة كانت جملة فلسفة أولئك الحكام وبيت قصيد حملهم على رقاب الناس وكان من أهل الشام ان وسمهم أعداؤهم بكل كبيرة والصقوا فيهم باطل التباهات . وهكذا الحال بين الشام والحجاز والشام والعراق فان

يعظم المؤرخين والمؤلفين نبغوا في العراق فاكثروا في مصنفاتهم من الأحاديث  
الموضوعة على أهل الشام لقلة من كتب من هؤلاء، ودافع عنهم. ومثل ذلك  
قل في المغرب مع مصر ومصر مع الشام وفارس مع الهند وكلها في الحقيقة  
سواسية لا تساوي درهما عند المحققين. وما البلاد في أمر الأفضلية إلا  
سواء لا يفضل شرق عن غرب ولا جنوب عن شمال إلا بالعلم الدافع والأدب  
الرافع والعمران والسعادة. ولذا ضل رأي من وضعوا من المتأخرين كتباً  
خاصة في فضائل بلد أو قطر. وأضل منهم من وضعوا أحاديث مكذوبة  
على الرسول صلى الله عليه وسلم في تفضيل مدينة أو بلد كما ضل من وضعوا  
الموضوعات طعنًا على فئة خالفت ما هم عليه.

وبعد فالأرض كلها سواء، في هوائها ومائها وحماها الله ليعيش فيها البشر  
ويتقوا في أقطارها وقد لا تختلف الإفطار المتناثية في قوة الألبان، نبات الأقلية  
فليس من العقل أن تمدح بلد لجبل فيها، أو سهل فسيح حوالها، أو نهر  
كبير يمر في وسطها، ولا أن تدم أخرى لحرارتها، أو لضيق حاراتها  
وجاداتها، فكانت مصر ولا تزال مثلًا منذ الوف من السنين طريدة من  
الأرض عرفت بخصبها وغناها الطبيعي وكانت الشام ولا تزال منذ الوف  
من الأعوام مشهورة باختلاف أهويتها. ورقة نسيمها، وتنوع جبالها  
وأوديتها، فماعد ذلك فضيلة للأولى على الثانية ولا للثانية على الأولى. بل  
حسب لهما ذلك خاصة يمتاز بها كلا القطرين ببعضها عن بعض. وقد  
أنصفها في الوصف أحد عمال الدولة وقد سئل عنهما فقال: مصر مزرعة  
ممرعة والشام مصيف بهيج

إن كان ماتفاخر به البلاد بعضها بعضاً هذا إذا سوغنا التفاخر فبالعلم

والترية وغلبة الفضيلة والخير على طبقات الناس كلها لا بالماء والهواء والواحات  
والجبال والاولدية والاشجار والاثمار وكل ماوزعته الطبيعة بين بلدان العالم  
فقال كل منها بحسب حالته . دخل أبو الحكم المغربي الاندلسي الحكيم  
المرسي مدينة دمشق فلما حلّ ظاهرها سير غلاماً له يتناع لهما ماياً كلانه  
في يومهما وأصبحه نزرأً يكفي رجلين فماد الغلام ومعه شواء، وفاكهة وحلواء،  
وقطيع وثلج، فنظر أبو الحكم الى ما جاء به وقال له عند استكثاره أوجدت  
أحدًا من معارفنا فقال لا وإنما ابتعت هذا بما كان معي وبقيت منه هذه البقية  
فقال أبو الحكم هذا بلد لا يحلّ لذي عقل ان يتعداه ودخل وارتاد منزلاً  
وسكنه وفتح دكان عطار يبيع به العطر ويطب وأقام على ذلك إلى ان  
واقاه اجله .

ومثل ذلك ما وقع للملك المعظم شمس الدين توران شاه أخو السلطان  
صلاح الدين يوسف لما تمهدت له بلاد اليمن واستقامت أمور هامل المقام بها  
وحن الى الشام وفيها نشأ واشتاق الى خيراتها والتمتع بثمراتها اذ أن اليمن  
مجدبة من ذلك . قال ابن خلكان فكتب الى أخيه صلاح الدين يستقل منها  
ويسأله الاذن له في العود الى الشام ويشكو حاله وما يقاسيه من عدم المرافق  
التي يحتاج اليها فارسل اليه صلاح الدين رسولا مضمون رسالته ترغيبه في  
الاقامة وانها كثيرة الاموال ومملكة كبيرة فلما سمع الرسالة قال لمتولي  
خزائنه : احضر لنا الف دينار فاحضرها فقال لاساذ داره والرسول حاضر  
عنده : أرسل هذا الكيس الى السوق يشترون لنا بما فيه قطعة ثلج فقال  
أستاذ الدار يا مولانا هذه بلاد اليمن من أين يكون فيها ثلج . فقال : دعهم  
يشترون بها طبق ممش لوزي . فقال : من أين يوجد هذا النوع منها فجعل

يعد عليه جميع أنواع فواكه دمشق وأستاذ الدار يظهر تعجبه من كلامه  
وكلمة قال له عن نوع يقول له: يا مولانا من أين يوجد هذا ههنا فلما استوفى  
الكلام الى آخره قال للرسول: ليت شعري ماذا أصنع بهذه الاموال اذا  
لم أنتفع بها في ملاذي وشهواتي فان المال لا يؤكل بعينه بل الفائدة فيه انه  
يتوصل به الانسان الى بلوغ أغراضه .

ولعمري هل يصح ان تجعل أمثال هذه القصص حجة في أفضلية  
دمشق على غيرها من أمهات المدن حيث المعيشة غالية وهل هذا الرخص  
مما ينبغي ان يفاخر به وأهل الاقتصاد في عصرنا يحملونه اذا استحکم من  
بلد شؤماً عليه وبعدون البلد كل البلد الذي غلت فيه أسعار الحاجيات  
والكليات وارتفعت الاجور والارتفاعات على نسبتها . والامثلة على ذلك  
كثيرة فانه يبلغنا لهذا العهد عن بلاد الاناضول وهبوط أسعار المأكولات  
فيها لقلة ما يصدر عنها مالا يكاد يصدق لولا تواتره على السن الطارئین على  
ذاك الصقع فهل تفضل السكنى فيه على الروم ايلي المرتفعة أسعار الارزاق  
فيه . وبمد فان كان لافضل لعربي على عجمي الا بالتقوى فلا فضل لبلد على  
أخرى الا بالعلم والعمل والسعادة الحقيقية .

